اختيار موضوع البحث وتحديد العنوان

الأستاذ الدكتور: صالح مفقوده
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر – بسكرة

لعلَّ الحديثَ عن عملية اختيار موضوعِ البحث وصياغةِ العنوان على الرغم من أهميتها إلا أن الحديث عنها في هذا المنبر قد لايؤتي أُكلَه بالصورة المرجوّة، ذلك أن أغلب من يحضُر هذه الندوة كان قد اختار الموضوع وصاغ العنوان وهو الآن في مرحلة الإنجاز. أما من لم يختَرْ بعدُ موضوعَه فهو في الأغلب غير موجود بيننا، وعلى الرغم من ذلك فقد ارتأيتُ التطرق لهذه النقطة لما لها من أهمية بالغة في البحث العلمي وعلى مستقبل الباحثين.

لم تعدْ مسألةُ اختيار موضوع البحث عمليةً عشوائية كما في السابق حيث كان الباحث حرا في اختيار الموضوع الذي يريد، يختار الشاعرَ الذي يريد في العصر الذي يريد، هذا الأمر لم يعد متاحا ولم يعد مقبولا. فاختيارُ موضوع البحث صار مُحْكمًا بكثير من الشروط المتعلقة بالتخصص والمستندة إلى الإستراتيجية المرسومة.

إن عملية البحث في الماستر أو الدكتوراه ليست عملا فرديا منعزلا، إنما هو خاضعٌ حتما لسياق عام، ولدفتر شروط أعدته لجنة التكوين ومر على خبراء وحصل على موافقة وزارية وفي ضوء تلك المحاور تتم عملية الاختيار التي ترتبط أيضا بالمشرف الذي ينبغي أن يكون على صلة بالموضوع وأحيانا هو الذي يقترح على طالبه الموضوع. ومع ذلك أو بالرغم من ذلك فإن عملية الاختيار تبقى عملية مهمةً للغاية وتبقى مسألةً تتعلق بالباحث أولا فهو من يقرر ويبرر عملية الاختيار الذي ينبغي أن يكون مبنيًا على معرفة بالموضوع.

إن اختيار الموضوع تسبقه فترة من التوتر والحيرة يعايِشها الطالب حتى لو وجد موضوعا جاهزا مسلّما له من المشرف ومع ذلك يشعر الطالب أن مستقبله العلمي مرتبط بهذا البحث، وبالفعل سيُعرّف كل باحثٍ بالبحث الذي نال به شهادة الدكتوراه.

.عملية الاختيار هذه تخضع للشروط الآتية:

أن يكون البحث في صميم التخصص

أن يكون في مجال نشاط الأستاذ المشرف.

أن يكون للباحث رغبة في الموضوع.

لعل أهمّ ما يمكن التأكيد عليه في ضوء الاستراتيجية الجديدة لمديرية البحث العلمي والتطوير التكنولوجي هي ضرورة رسم هدف للموضوع، لماذا هذا الموضوع بالذات؟ ماذا يحقق الموضوع من أهداف، لقد حددت المديرية الأهداف الآتية:

Développement de service

Développement d'un process

Développement d'un produit[1]

ومن الطبيعي أن تكون معظم الأهداف في المجال الأدبي واللغوي من الصنف الأول Développement de service بمعنى تطوير الخدمات أي أن يمس البحث جانبا اجتماعيا أو اقتصاديا أو نفسيا في المجتمع وأن يتصور الباحث على الأقل الدور الذي يمكن أن يؤديه في المجتمع، إذا كان الموضوع الذي يتناوله الباحث لا يسأل عنه أحد في المجتمع ولا يتم عقد لقاء حوله ولا يتم السؤال عن صاحبه ولا استشارته فمن الأجدر بالباحث عدم التطرق لهذا الموضوع أصلا، يبقى تحديد الهدف بدقة والعمل على الوصول إلى ذلك الهدف، وليس المطلوب من الباحث تعيين أهداف بعيدة أو عسيرة التحقق فذلك يتعب الباحث ويكون على حسابه، حدد هدفا واضحا مجزءا وحققه على مراحل أو فلنقل سنوات أو فصول بحيث يتحقق البحث على مراحل وفي هذه الحالة يحق للطالب الاستفادة من الدعم المادي للمخبر ويصل في الموعد المحدد للمناقشة.

وقبل عملية الاختيار لابد من القراءة الكثيرة للاطلاع على خبايا الموضوع لتكون عملية الاختيار مبنية على معرفة وأساس علمي ولكي نضمن لأنفسنا الاستمرارية في العمل لأن عملية الاختيار السريع قد تجعل الباحث يتراجع عن بحثه أو يجد نفسه في طريق مسدود وعندئذ سيخسر الكثير. ولتفادي هذا الخطر لابد من القراءة المتأنية، يقول شوقي ضيف: « **ينبغي ألا يهجم ناشئ على البحث في الأدب قبل يتسلح له بقراءات كثيرة فيه وفي مباحثه حتى يجد نفسه، وحتى تتكون شخصيته تكونا أوليا**[2]»

القراءة والاطلاع ينبغي أن تنصب على الكتب والمجلات والرسائل الجامعية التي أنجزت في الموضوع أو قريبا من الموضوع وبذلك يتبين للباحث ما إذا كان الموضوع مطروقا من قبل أم لا وهل فيه مراجع وأين توصل البحث في هذا المجال وبالتالي يمكن صياغة الإشكالية ورسم معالم الطريق والاطمئنان إلى صلاحية الموضوع للتناول هذه الإطلالة عن محتوى الكتب هي ما يطلق عليه الدراسات السابقة التي تحفظ الباحث من الوقوع في التكرار وتساعده على تحديد الجديد الذي سيقدمه.[3]

إن عملية اختيار الموضوع ينبغي أن تحقق هدفا هو الاطمئنان إلى أن هناك ثغرة علمية تقوم بسدها أو نقصا في فكرة تود إكمالها أو تصحيح نظرة في موضوع معين فمثلا تود تصحيح فكرة شائعة عن العصر الجاهلي أنه عصر سذاجة وبساطة وتخلف فكري وتمضي في هذا السبيل. أو أنك تسعى للإجابة على جملة من التساؤلات المطروحة.

والخلاصة لا ينبغي أن تتناول الموضوعات الميتة المستهلكة التي لا تتوقع أن تأتي فيها بالشيء الجديد لأن هناك منافسة شرسة ستخوضها من خلال البحث، يقول شوقي ضيف عن الباحثين الناشئين بأن« **سباقا حادا عنيفا سينشب بينهم، وبين من اتصلوا بهذه البحوث، وأن واجبا عليهم لا أن يقرؤوهم فحسب، بل أن يجدّوا كل الجد في الإكباب على ما قرأوا وأن يحاولوا- بكل ما استطاعوا- النفوذ إلى أفكار وآراء لم يصل إليها سابقوهم في البحث ولا سجلوها في بحوثهم**[4]» كما ينبغي على الباحث أن يتجنب الموضوعات الشائكة المعقدة التي قد يبدأها ولا يجد فيها مخرجا فيكره البحث وتسوء أموره فليست الموضوعات المعقدة هي الجديرة بالاهتمام على الإطلاق على الباحث أن يكون معتدلا في تفكيره، وأنصح شخصيا الباحثين بتناول مدونات بحثية راقية تنفعهم في التكوين وفي تنمية الذوق الفني والأدبي بغض النظر عن انتماء هذا الأديب لمنطقتك أم لا، إذ أن الفكرة المغلوطة التي يقولها الباحثون الناشئون إني أود نفض الغبار عن الأديب المحلي هي أمر مضر بالبحث العلمي وبمستوى الطالب، أنا أقول لمثل هذا الذي يقول هذا الكلام انفض الغبار عن نفسك أولا، وبعد حصولك على الشهادة يمكنك تخصيص مقالة أو كتاب عن ابن منطقتك أما أنك تغامر بجهدك في سبيل أديب مغمور فهذا مضر بتكوينك.

ويؤكد الدكتور شوقي ضيف على الحرص على الدقة في اختيار الموضوع فلا نعمد للتصدي لدراسة زمن كامل أو قطر كامل فكلما ضاق الموضوع كلما كان الأمر أحسن يقول:

« **ينبغي أن يعدل الباحث الناشئ عن بحث العصور من جميع أقطارها وأطرافها وأن يقتصر على بحث بعض أعلامها أو بعض جوانب منها محدودة ضيقة، وكلما كان الموضوع أكثر ضيقا كان أكثر صلاحية للبحث والدراسة**[5]»

صياغة العنوان

تحديد عنوان البحث أمر في غاية الأهمية ينبغي أن يمنحه الباحث الوقت الكافي لأنه بعد تسجيل الموضوع يمكن أن تعدل في خطة البحث كما تشاء بالاتفاق مع المشرف ولكنك لا تستطيع تغيير العنوان لا بصورة جزئية ولا كلية إلا إذا تقدمت بطلب يوافق عليه المشرف وتوافق عليه الجهات العلمية وينبغي في كل الحالات أن يكون العنوان الجديد على صلة بالعنوان القديم حتى يحسب تعديلا وليس تغييرا لأنه إذا اعتبر تغييرا تلغى السنوات السابقة في البحث الأول وقد يعرض الباحث نفسه لخطر إلغاء التسجيل، وإذن فإن مسألة صياغة العنوان مهمة وكما يقال فإن البحث يقرأ من عنوانه وكثيرا ما رأينا المناقشين يقفون مطولا عند العنوان . فكيف تتم صياغة العنوان؟

العنوان الجيد ينبغي أن يتصف بالجدة والدقة والاختصار والعلمية وسنفصل هذه الكلمات.

الجدة: فلا ينبغي أن يكون العنوان تكرارا لكتاب أو لبحث آخر، الصياغة يجب أن تكون من إبداع الباحث لأن مجرد العثور على عنوان بنفس عنوان بحثك يجعل من بحثك مثارا للجدل، بل وينبغي رفضه.

الدقة: وأعني بها أن يكون هناك تطابقا بين العنوان ومضمون البحث فإذا كان البحث يتكون من مجموعة فصول فإن كل فصل يكون جزءا من العنوان بحيث يدل العنوان على مجموع فصول البحث، هذا خلافا للإبداع الفني ففي ديوان شعري يمكن أن يكون عنوان الديوان هو عنوان لقصيدة داخل الديوان هذا الأمر غير مقبول على الإطلاق في البحث العلمي.« **يُظهر حُسنُ اختيار عنوان البحث قدرة الباحث على اختزال موضوع بحثه بكلمات محددة ودقيقة وشاملة؛ ما يقتضي التزامه باختيار عنوان مختصر يشمل مجال البحث وموضوعه وظرفه زماناً ومكاناً**.[6]»

الاختصار: نجد أحيانا بعض العناوين طويلة جدا حتى أنها تبلغ السطرين والثلاثة أسطر وهذا أمر يثير الشفقة على هؤلاء الباحثين الذين لا يتحكمون في لغتهم فالعنوان هو تسمية للبحث والاسم يكون موجزا.

العلمية: إذا كان أسلوب البحث العلمي أسلوبا علميا خاليا من الأساليب الإبداعية ومن المبالغات اللفظية فإن ذلك يبدأ من العنوان الذي لا ينبغي أن يكون براقا جذابا، فما يصلح أن يكون عنوانا لمقال صحفي لا يصلح أن يكون عنوانا لبحث علمي ، إن كل كلمة ينبغي أن تدل على معناها الحقيقي بعيدا عن الخيال والمبالغات اللفظية.

1- ينظر، Canevas DOCTORANT_LABO_2017_SUGGET، مديرية البحث العلمي والتطوير التكنولوجي.

2- شوقي ضيف: البحث الأدبي، طبيعته– مناهجه– أصوله– مصادره، دار المعارف الطبعة السادسة، ص 18.

3- رسالة الدكتوراه: كيف تبدأ في الإعداد لها حتى مرحلة نيلها، موقع تسعة www. Ts3a.com

4- شوقي ضيف : المرجع السابق، ص 18.

5- شوقي ضيف : المرجع السابق، ص 19.

6- طرائق البحث العلمي،
http://www.na.ae/ar/education/teacherprogram/generalinformation.aspx
بتاريخ: 2017/03/12.